العولمة وسرايا الجهاد

بقلم الشيخ
عمر بن محمود أبو عمر
أبي قتادة الفلسطيني

لقد صـدر العديد من الكتب والأبحـاث في الشـرق والغـرب تتحـدث عن العولمة وتوصـيفها وآثارهـا، ومع أن هـذا الإسم صـار دالاً بوضـوح على الكثـير من المعـاني والوقـائع والسياسـات إلا أن أكـثر ما كتب الى الآن هو أشبه بتوصيف لحالة الذهول الـتي أصـابت قلاع التحصـين الذاتي للأمم والشعوب من غزو العولمة.

ليس ما يقال اليوم في المصادر الغربية عن العولمة في كونها حالة تنـازع، بل باعتبارها قـدراً لا يمكن رده كما قـال بعض الصـحفيين عنهـا، ومع أن ما كتب هنـاك حـول العولمة هو الأقـــرب لواقعها وحروفها العملية إلا أن ما كتب عنـــدنا ومن الأكـــثر من الكتـــاب هو معالجة فكرية تحليلية اعتـــدنا ســـماعها من أنفســـنا حين نكـــون القابل لفاعلية الآخر فينا.

ولا شك أننا نعـــــــاني من العولمة أنا وأنت فنحن مادتها، ولسنا فقط في دولابها مجرد فكرة مطلقـة، ولكن للأسف ما زلنا نتكلم عنها باعتبارها مصـــطلحاً فلســـفياً معرفيـاً لا يعنينا إلا بمقـدار تحقق متعة ذهنية لمسـألة من مسائل الإغريق القدماء.

لن أعتـــني هنا في هـــذه العجالة أن أكتب لأخـــواني لأقول لهم إن العولمة هي شبكة اتصالات واسعة وسريعة وسوق معاملات أجنبية وشركات عابرة للقارات واستثمار أجنـبي مباشر فـأغرق معه في وصف آلة العولمة دون أن أصل الى عقل القـارىء وهو أخي المسـلم إلى أن هـذه الآلة هي صـاروخ مـدمر يريد أن يجتاحه ويسـحقه ويجعل منه مجـــرد رقم حقـــير في دولاب شـــياطين الإنس من خصوم أمتنا.

بلا شك أنه من الصـــعب علي أن أصل مع أخي إلى ما أردت إلا إذا قلت له بعض حـــــــروف العولمة وبعض واقعها وآثارها على حياته ووجـــوده، وبالتـــالي ساضـــطر

لبعض الوصف المجرد حتى يبصر مقدار الشراسة التي تمارس عليه، وبالتالي تحريضه أن يكون هو أكثر شراسة في التعامل معها؛ أي أن يكون مجاهداً بحق لهذه الجموع الشرسة من الذئاب القاتلة لا لشيء الا لشهوة الدماء ورؤية الاشلاء والقتلى.

العولمة باعتبارها حلاً لمشاكل الغرب الوحيدة:

ابتعاد الغرب عن الغيب والحق والعدل وقيم السماء الإلهية والتي جاء بها الرسل يوقعه بعد كل فترة نهوض مادي إلى مجموعة من المشاكل الكبرى والخطيرة؛ وكلها تعود الى قضية الثروة، فمن خلال الجشع غير المتناهي للأغنياء مع قلة موارد تعيشها هذه البلاد تتماهى مع هذا الجشع تنتج مجموعة أزمات خانقة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، ومع أن البعض من أهل هذه البلاد دعا إلى الإقتصار على المورد الذاتي لحل المشاكل المستعصية والمتكررة في الغرب، إلا أن هذا الحل يدرك أصحاب القرار هناك أنه لا يحقق شيئاً إلا بمقدار فقاعة صابون أمام الجشع غير المتناهي، وبتفكير سريع لا يحتاج الى عقل جبار ليحل المشكلة الداخلية التي لا يتنازل طرفا النزاع عن مطالبهما وهما جشع الغني وقلة الموارد الذاتية ومن ثم رفض القواعد السفلى بفطرتها أن تسلم بالواقع فلا بد لها من حل.

وهذا الحل بالطبيعي أن يكون عند الآخر وهذا الآخر هو سلة المال وهو نحن بلا شك.

فنحن نملك الثروة وفسحة الأرض؛ أي أننا أشبه بسلة للغذاء والمتعة يتحقق بها أعلى درجات الرفاهية.

مثلت أمريكا وأستراليا عند اكتشافهما مجالاً للحل، لكن ضاق فضاؤهما عندما حل فيهما المرض نفسه بسبب انتقال الفايروس اليهما من خلال الانسان المحتل والقاتل للسكان الأصليين.

ولسنة الإغراء الإلهي لحصول التدافع السنني فإن في بلادنا الكثير من حل لمشاكل الآخر.

هــذا الغــزو بما ســياتي من ذكر بعض أدواته هو ما يقال له اليوم ترطيباً لعنف واقعه بالعولمة.

فبـدل أن تتحـرك جيـوش عسـكرية لتحقيق الهـدف اختفت هـذه الجيـوش كعنـوان وبقيت كقـوة ضـغط ولكن تحرك شيء آخر.

الجيـوش العسـكرية لما تتحـرك يعـني أنها تجـاوزت الحـدود وكـذلك مـادة العولمة الجديـدة تقـوم على هـذا الركن تماما.

الحــــدود الجغرافية والفكرية والتمـــايز الأخلاقي والقانوني، وخصوصية الشعوب القيمية موانع دوماً للغـزو العسكري وهي تمامـاً موانع الغـزو الجديد الـذي يقـال له العولمة.

<u>يقولــون إن العولمة هي:</u> تكنولوجيا وأســواق مال وإدارة، وهي عبارات مقبولة في ظاهرها، ولكن حيث تفتت ليعرف ما بداخلها سـتجد أنها مفعمة بقعقة السـلاح ومشاهد الخراب وصراع الجيـوش وحيل الحــرب، أي أنك ستجد فيها كل ما تعلمه وقرأته عن الحــروب القديمة من غير اختلاف في أي حقيقة من حقائقها.

وأنا لا أريد الخــــوض معك في المطلقـــات ولكن سـامثل لك بمثـال ربما تفهمه وربما تتهمـني بالغبـاء أني أتكلم عن العولمة العظيمة والتي كتبت فيها مئـات الكتب بهذا التسطيح والتسهيل:

الحروب القديمة كانت تحقق انتصارات الجيوش عن طريق سـحق الخصم وتـدمير الجيش المقابل ليتم سـلب خيراتــه، فـإن قبلت القــول أن ما يقـال له اليـوم بتحديد النسل ومنع انتشار أسـلحة الـدمار الشـامل على شـعوب معينة هو وســيلة مرعبة لتحقيق عــدد أكــبر من القتلى وتدمير الجيوش دون كبير عناء من حركة جيش إلا بمقدار إثبــات تهديــده الحقيقي وليس مجــرد الاســتعراض فقط حينها تكون قد اقتربت من الحقيقة.

هـذه المـؤتمرات الـتي تعقد في بلادنا تحت مسـمى مــؤتمرات الإســكان هل هي أقل من جيــوش عســكرية وأزلام ورجــال بــوليس لإجبــار أمة من الأمم على البغــاء العلني؟!

ان هذه المؤتمرات هي جيوش وعسكر من عساكر العولمة الجديدة.

شرط العولمة الذي لا تتخلى عنه تدفق حر لرؤوس الأموال ليسهل حملها دون موانع قانونية أو أخلاقية، وهي بلا شك صورة لا تختلف أبداً عن تلك السفن التي كانت عند الغازي القديم حين يأتي الى بلادنا ويخرج بها وهي محملة بكل كنوز الآباء والأجداد وإرث الأجيال.

الحقيقة واحدة ولم تختلف الا الوسائل ولا بد لتكميل اللعبة من تسمية جديدة ومقبولة لهذه المعركة وهذه الأدوات؛ فليس الخمر فقط من تسمى بغير اسمه اليوم، ومن ثم لأجل أن يغرق أساتذتنا في أصول الكلمات الجديدة ومعرفة جذورها اللغوية والتاريخية.

بلا شك سيقول لك البعض أن هذا تكريس للثنائية التي هي عماد الصراع والمدافعة، والعولمة فتح للآفاق وتحقيق كامل لسعادة البشرية دون استثناء، فأصحابها يروجون امكانية الجميع في الصراع والتسابق بقدر متساو بين كل الفرقاء، وهذا لعمر الله مغالطة مكشوفة صلعاء لا يسترها شيء، والواقع يكذبها من أين أتيتها.

نعم سيدلل لك أن أدوات العولمة مبذولة ولم تقتصر على بلد دون بلد ولا على قوم دون آخرين، وسيقول لك ها قد حملنا الهاتف الجوال ودخل الأنترنت الى مخادعنا وتحقق قدر كبير من الرفاهية عندنا كما تحقق قدره عند الآخر.

يقول هذا وهو يعلم أن بلادنا تفقد الكثير من الاحترام وهي تملك هذا الثراء، لأنه ثراء نعير دائما فيه إنه جاءنا من غير جهد منا ولم نحققه بذواتنا، ولا بإبداع عقولنا، بل هو ثروة تفجرت من تحت أقدامنا وبتفتيش غيرنا واكتشافه، وبالتالي ينظر الينا كمجموعة من الأغبياء ساقتهم أقدارهم واضطراب مسالكهم إلى كنز لا يستحقونه، وتأكد هذا الشعور وتفاقم عدم الاحترام لنا أننا اتخذنا هذا الثراء مطية لاستهلاكنا والتنعم به حتى الثمالة دون أن نحقق قدراً ولو يسيراً من الاستثمار الواعي الذي يضمن شيئا من هذه الرفاهية لأجيالنا القادمة، وبالتالي صرنا في إطار العولمة أي المعركة الجديدة ليس مجرد ثروة منهوبة وسلة جواهر للسرقة بل حققنا لهم متعة جديدة وذلك بأن نسوق لهم منتجاتهم، ومرات

كثيرة زبالإتهم كتلك الأسلحة الصدئة التي هي بأيدينا أشبه بـدمى الأطفـال نقلبها ونسـتعرض بها جيوشـنا السـمينة المهترئة دون أن تحقق لنا أي قـــدر من الأمن أمـــام أي عدو مهما كان صغيراً أو تافها.

قـرأت الكثـير مما كتب عن العولمة والـتي صـدرت في الغـــرب فلم أجد قط أي ذكر لأمتنا فيها ولا عند ذكر الأرقام السوقية للمنتوجات التي تعبر عن مقدار الرفاهية وتنوعها ذلك لأننا لا شـيء في هـذا الصـدد وبالتـالي لن يذكروا شيئاً عن مصـدر هـذا الـثراء الطـاغي للمجتمعـات التي يبنونها ويتصورون رفاهيتها..

في العادة عند ذكر دورة الحياة لا بد من ذكر الإنتاج ومجالاته وبعده يتم ذكر فضاء الاستهلاك، لأن دورة الحياة الاقتصـادية لا تتم إلا بهما أي انتـاج واسـتهلاك؛ وليتحقق قـدر من الرفاهية والـثراء لا بد أن يكـون الخط البيـاني للإنتاج أعلى من الخط البياني لضرورات الحياة وواجباتها، وكلما زاد الفـارق بين الاسـتهلاك والانتـاج ترتفع درجة الرفاهية في أمة من الأمم، وكل ما كتب هو حـــديث عن قسم الاستهلاك دون مرور ولو إشارة عـابرة على مصـدر الإنتاج لأن في ذكره فضح لسر المعركة الجديدة التي هي عين السلب والنهب لكل صور الغزو.

في آخر دراسة عن العولمة لصـحفيين انجلـيزيين حققا جائزة لرصدهما الـدقيق لها ولأساسـياتها كما تقـول الجائزة نشرته إحـدى الجرائد العربيـة، سـرت مع الكتـاب من أوله إلى آخـره مشـدوها بحركة الـدمى الـتي يحركها الكاتبان أمام طفل صـغير مثلي مغـرم بالأرقـام والألـوان المزركشية لوصف مضطرد ممتع لحالات تلهيك عن كونها مرضـاً أو عافية وهي قطعـاً سـبب اغـراء الجريـدة الـتي عانت فترجمت الكتاب وربما دفعت المال لصـاحبيه حـتى تنشـره، أقـول سـرت مع الكتـاب مشـدوها أمـام حركة الـدمى الملهية والظاهرية والسـاترة للعبة الحقيقية لما خلفها من اخـراج وأصـابع ذكيـة، لأني بالفعل شـعرت أني سـرقت في نهاية المطـاف من أن أسـال نفسي حين يعـرض هـؤلاء علي مقـدار المتع الـتي تحققها العولمة سؤالاً ساذجاً لرجل هو للبداوة أقرب:

ومن أين تتحقق كل هذه المتع العظيمة لهذا العـالم الذي صار في بعض مناطقه يضن بكأس الماء؟

عنـــدما نتكلم عن رفاهية وثـــراء فلا بد من ســـؤال طبيعي من أين لنا هذا وما هو مصدره؟

لكن أن أخدع بكل الألـوان الجميلة والملهية والبرقة والسارقة للعيون عن هـذا السـؤال فهي تهمة توجه لمثل هذه العروض الكاذبة.

نعم هم لن يسـألوا ولن يستعرضـوا شـيئاً من ذلك كله لأنهم ان تكلمـــوا حينها ســينقلب كل هــذا العــرض الجميل الى موقع جديد آخر فيه الفقر والـــــــــــــدم والاضطرابات والصراعات والوحشية وحينها نعلم أن وراء هذه الصور حرب دائرة بكل معنى الكلمة.

فحين تجابهك صـورة العـالم بقاراته الخمس حسب تقسـيماته الجغرافية الجديـدة والمقصـودة وتمعن النظر فتجد ان ما يقال له قـارة أوروبا هي في مسـاحتها تعـادل بلداً أفريقيا واحد هو السودان، فإذا وضعت هذه المعلومة كصورة خلفية أمام مجموعة الأرقـام الاسـتهلاكية ومعـدل الرفاهية تـدرك كم ضـحكوا عليك في لعبة عـرض الـدمى والصور الباهرة.

كأس النفط ورغيف الخبز:

ضع أمـــام كل ما تقـــرأ عن شـــركات الإتصـــالات وشركات متعددة الجنسيات زعموا - بل لها جنسية واحدة - وشركات المضاربات، وضع أمـام كل المنتجـات الجميلة من ألبسة وعطـــور ودور أزيـــاء وســـيارات فارهة ثمينة وشركات بناء، وضع أمام كل ما يتاجرون به حتى لا تنسى مهنة البغـاء والـتي هي موظفة في أساسـيات العولمة مع تجـارة الرقيق الأبيض، ومر في طريقك بصـناعة السـينما التي صـارت الأعلى تكلفة في كل ما يحتاجه الانسـان من رفاهية عجيبة وعلى لاعـبي الرياضة وتكـاليفهم والاتجـار بهم وبلعبهم، ضع هـذا كله كـدورة اسـتهلاك يغرقونك في تفاصيلها وأرقامها الفلكية ويبهـروك بها كمشـاهد شـغوف أمام عينيك وما أرادوا تغييبه عنك ضع هذا كله أمام كـأس نفط وكسرة خبز كل ما يقولونه عن الاسـتهلاك وابداعاته وجـــــوانب الـــــثراء في كفة مقابل كفة مغيبة هي النفط والخبز.

فما يحـدثوك عنه هو ما يعـنيهم وما يسـترونه هو ما يعنيك.

كل ما يقولـــون هو ممارســـتهم ومنهم ولهم لكنهم أبداً لن يحدثوك عما عندك وما تحت قدمك.

كل حـروب العصر قـامت على هـذين الأمـرين أو ما تعلق بهما وكل ما سيحصل من حروب أنت تشـهد بعضـها أو بعض مقــدماتها تــدور حــول مصــدر حيــاتهم عيشــهم وهنائهم.

وحين نستعرض هذه المادة العجيبة وهي النفط نجد أن حضارة القرن كلها تقوم عليها، ومنذ اكتشافه وهو يعد شريان الحياة في الغرب،وهومسـتعد أن يـدمر ويقتل في سـبيل تأمينـه، ففي رسـالة وجهها ونسـتون تشرشل وهو وزير الحرب يومها الى قائد الأسطول البحـري البريطـاني يقــول له فيهـــا: عزيـــزي فيشر ما هو المطلـــوب من الأسـطول الآن وفي المـدى المنظـور:هو ضـمان وصـول البـترول الى بريطانيا العظمى؛ رخيصـاً في حالة السـلم، مؤكداً في حالة الحرب.

ولعل الدافع المهم لضرب اليابان بيرل هاربر مع أن البعض عده غباءاً يابانيـاً لأنه يـبرر لأمريكا دخـول الحـرب ضـدها هو الضـغط الأمـريكي عليها خلال الحـرب العالمية الثانية بقطع النفط عليها أمـــام مجموعة من المطـــالب الأمريكية المذلة لليابــانيين خلال الحـــرب وهـــذا تؤكـــده الدراسات الجديدة وتؤكد عليه.

وأمريكا منذ اكتشــاف البــترول وهي تــراه ســلعة رئيســية واســتراتيجية حيوية في الحــرب وضــرورية في الســلم ولازمة للنفــوذ الــدولي، وهي عبــارة أنقلها حرفيا لرسـالة وجهها وزير الداخلية الأمـريكي هارلد ايكس سـنة 1942 الى رئيس أمريكا يومها فرانكلين روزفلت.

والحــديث عن هــذه الســلعة وحيويتها وكونها مــاء الحياة لحضارة اليوم يطـول جـدا، والعجب كل العجب أن هذه السلعة الغالية والتي لم تظهر الأبحاث المحمومة أي بديل لها في الوقت الحاضـر؛ أقـول هي السـلعة الوحيـدة الأكثر تخلفاً في الأسعار أمام مثيلاتها من السـلع الأخـرى، وهــذا له دلالة واضــحة في عــالم يكــون فيه الثمن لنكتة ممثل على المســـرح أغلى من ألف برميل نفـــط، وليس السـبب في هـذه المفارقة قسـوة المسـتهلك واسـتغلاله لكن هو غبـاء وضـعف صـاحب السـلعة، وشـعوره بالدونية والحقارة لنفسه.

ولعل هذه الكلمات الـتي قالها الملك عبد العزيز آل سعود لعبد الرحمن باشا عـزام سـنة 1948 يـوم أن كـان أمينـــاً عامل لجامعة الـــدول العربية عنـــدما طلب منه استخدام البترول كوسيلة ضغط على الغـرب من أجل أن يغير موقفه من القضية الفلسطينية.

فأجابة عبد العزيز آل سـعود: إنـني لا أفهم ما تتكلم عنه، إننا لم نكن نعرف البترول وانه موجود بأرضـنا فجـاء الأجنبي وقال إنه موجود، ولم نكن نعرف كيف نسـتخرجه فجاء الأجنبي فاسـتخرجه لنـا، ولم نكن نعـرف كيف نبيعه فذهب الاجنبي به الى السوق فباعه، وأخذ الأجنبي نصـيبه وأعطانا نصـــيبنا، فلمـــاذا تريـــدني الآن أن أعـــاقب الأجنبي؟؟!!

هذه الكلمات الغبية في عـالم الصـراعات والمعـبرة عن مقدار التخلف هي ما نسمعها اليـوم تمامـاً من صـناع القــرار والمقــربين منهم عند أي محاولة للفهم أو دخــول حركة الحياة وفهم سنة التدافع.

فـــالبترول حيـــاتهم وروحهم وهو تحت أقـــدامنا ومع ذلك فما نحن إلا قابضـــــين في النهاية لبعض ثمنه حسب وصف الصـقر الـذي يعـرف كيف يضـحك على شـعبة، ولا يعدو ان يكـون غبيا وبدرجة متناهية في الغبـاء حين يتعلق الأمر بأمر ادارة الحياة والقضايا المصيرية.

من حقنا أن تنشق حناجرنا ونحن نصـــرخ: يا لغبـــاء قادتنا، وياله من نصيب يعطوننا إياه.

العولمة والقوة:

يجمع الكـــاتبون عن العولمة بأنها ظـــاهرة قديمة وليست حادثـة، ويـدللون على هـذا بأدلة كثـيرة، لكن كلها تقوم على حوادث في مجملها القاسم المشترك بينها هو:

عملية الخــــــروج الى الآخر لتحقيق مكاسب مادية جديـدة وزائـدة، وذلك بتسـويق بضـاعته أو بجـني خـبرات الآخر اليــه، وكل ما كتب وحسب اطلاعي تجـاوز أو أغفل عنصر القـوة العسـكرية لتحقيق هـذه المكاسب الجديـدة والزائدة، ومع هذا الإغفال تم كـذلك اسـدال السـتار خفية على الجانب السياسي ببعض الخجل.

لم يرتبط في ذهن القــارىء المســلم أبــداً مقولة النظام العـالمي الجديد وشـعار العولمـة، كما لم يـروا أن تركيبة العـالم في شـرعية القـوة فيه وهـذا الالتقـاء لهيئة الأمم المتحـــدة الملحـــدة هو هبة من هبــات العولمة في بعض مراحلها أو صورها.

حين يتحــدث مؤرخو مقولة النظــام العــالم الجديد يجزمون أنها فكرة قديمة كذلك، ومظهرها هو وجـود قـوة عسكرية واقتصادية متمكنة، تملكها دولة واحدة أو تحالف دولي في عصر بعينه، تستطيع هـذه الدولة أو هـذا التجمع أن تجعل إرادتها فاعلة أو مـــؤثرة وغـــير قابلة للتجاهل وعدم التقدير في كل أجواء العالم.

هـذه التصـورات لو تأملتها في وقائعها لا تختلف من زمن إلى زمن إلا في شـــكل القـــوة وصـــورة الاذلال والسيطرة، وبـالاختلاف في تحقيق هـذه الارادة وتفعيلهـا، وإلا فهي تــدل على حقيقة واحــدة في كل العصـور وهي صورة الغزو وتحقيق الغنيمة.

إن فهمت هذا فلا يهمك بعدها أن يسـتدل لك غـيرك على توصـيف ما هو النظـام العـالمي الجديد وبـأي مثـال سيفسر لك وضـــعه فكلها تعــود لحقيقة الغـــزو والغنيمة وفرض السيطرة.

لكن إن كنت بصــــيراً اهتم فقط وأنت ســــائر مع الكـــاتب أن لا يســـرقك بعبـــارات جميلة كالديمقراطية وحقـوق الانسـان والسـلام العـالمي ونـزع أدوات الـدمار الشـامل فهي عبـارات سـخيفة ألبست على واقع دمـوي وشرس وقـذر، تكـون أشـبه بالمسـاحيق على وجه وحش دميم قاتل.

خذ شـــعار الديمقراطية وحقق كم يخفي تحته من قهر ودكتاتورية وتسلط وسحق للآخر!

يقولون لك بكل صفاقة وقلة حياء وتبجح: هـذا عصر الديمقراطية والحريات السياسية وحقـوق الانسـان، وأنت ترى بأم عينيك أن ثلاثة شباب في نيويـورك ضـحكوا فقط ضـحكوا في ذكـرى يـوم الحـادي عشر من سـبتمبر يـوم الغـزوة المباركة كـانت ضـحكاتهم سـبباً لسـجنهم، وأنا ضربت لك هذا المثال حتى أمـارس عليك عملية التضـليل وتغطية بصرك فلا تـرى آلاف الضـحايا والقتلى وعشـرات

الآلاف من المشردين والمسجونين لأقل من هـذا الصـنيع، وكل ذلك من بركات عصر الديمقراطية والسلام العـالمي والنظام العالمي الجديد.

إنها مهزلة الشعار الـتي لم يتطـور في البشـرية منذ أولها إلى يومنا هـذا أكـثر منـه، ولا صـار خلق في الوجـود أعمق وأقوى وأرسخ من خلق الكذب.

حين ترى العالم كله بلداً واحداً ويتحدث بلغة واحدة وهي لغة الشـرعية الدوليـة، وتحت مظلة الأمم المتحـدة الملحدة وحين تنكش عـودا صـغيرا تحت هـذه الشـعارات فـترى كيف تـدار المواخـير، وأي لعبة عهر تمـارس داخلها تعـرف أن العـالم صـحيح محكـوم بنظـام عـالمي جديد وبشـرعية دولية واحـدة لكنها لا تختلف عما يسـمونه هم بشـريعة الغـاب، بل إن للغـاب شـريعة وقانونا هما أرقى بكثـير مما يمارسه هـؤلاء الـذين هم اقسى من الـذئاب والكلاب المسعورة.

ولتكتمل صـورة تـرقي لعبة مهزلة الشـعار وقـانون الكذب فإن الاحتفـالات سـمة لم تتخل عنها البشـرية، فما زالت قطر والبحرين والكويت والامارات والأردن وبروناي حـتى دولة فلسـطين المسـتقلة كل هـذه الـدول وغيرها تحتفل احتفـالاً مهيبـاً وعظيمـاً بيـوم الاسـتقلال العظيم، وفيه تسـتعرض الجيـوش الجـرارة وتعـزف الحـان النصر الذي تحقق.

في الأمم المتحـــدة مقاعد لكل دولـــة، وهي مقاعد تسـفك في داخل البلد الواحد الكثـير من الـدماء ليتحقق لأحد المتحاربين أن يحل فيـه، وكل دولة لا تـدخل فيه هي دولة خارجة عن النظام العادل المتطور الراقي؛ وبالتـالي هي دولة خارجة عن القـانون، وبالتـالي فـأول احتفـالات الاستقلال العظيم هو احتلال مقعد رقمي في هذا النظـام العظيم، والكل يصـرخ ويصـيح بوجـوب احـترام الشـرعية الدوليـة، ووجـــوب تنفيذ قـــرارات هـــذا المجمع العـــادل الديمقراطي القائم من أجل إحلال السلام في العالم.

لكن كل هــذه الــدول أرقــام لا قيمة لها في الهيئة العمومية بل هي مظهر احتفـــالي كيـــوم الاســـتقلال الفلســـطيني، وفيها قلب يســـمى مجلس الأمن له بعض الحواشي المزينة والمربكة في تفســيرها، تــديره خمس دول باعتبارهم اعضاء دائمين، لها حق حمل العصا وتاديب

الجمـوع وسـرقة الأمم وتسـيير طـائرات وبـوارج وقصف المـدن وقتل الآلالف من أجل تحقيق رفاهية شعوبها، إنها بحق فكرة من أرقى ما صنعه الإنسان المتغلب القذر ضد الإنســان المقهــور في تــاريخ الأمم والشــعوب على مر التاريخ.

وسلامات يا شرعية دولية وسـلامات أيها الإسـتقلال العظيم..

وبعدها فليمت الكل وتعيش حضارة الرجل الأبيض.

وفي الوقت الذي تقـوم به هـذه الـدول بصـنع أرقى أدوات دمار العالم وتخريبه تمنع غيرها تحت دعــوى احلال الســلم العــالمي من صـنع لغم أرضـي.. لأن في صـناعته حسب وجهة هـذا السـيد الـديمقراطي إسـاءة لإنسـانية الإنسان وآدميته.

ولا أريد أن أســتطرد أكــثر من هــذا في الجــوانب الرائعة لعالم حضاري ديمقراطي يعيش تحت شعار بـراق هو العولمة والنظام العالمي الجديد.

ويبقى السؤال: ماذا نفعل؟

بلا شك أن خصـمنا قد حبك لعبته من جميع جوانبهـا، فقد ترقت معارفه الإمبريالية والاستغلالية، وأعظمها رقي هو جانب الخداع والتضليل، فهو خصم قرأ التـاريخ ودرس الشعوب وعرف تجارب أجداده في صراعهم للتغلب على الآخر، فلم يـترك شـيئا ينفذ منه إليه إلا أحكم إغلاقـه، من ثم وترتيب موقف جاهز لمن أراد الدخول إليه أو معاناته.

فلو ضــاع حقك منه فإليه المشــتكى، ولا حركة لك إليه إلا برضاه، فإن خرجت عنه فـأنت خـارج عن شـرعية العالم أجمع فأنت إرهابي ومجرم، وهو لن يـؤمن لك هـذا الحق حــتى يأخذ منك اعترافــاً بــأن تــدخل في طاعته وسلطانه، وأن تصبح جزءاً من دولاب قوته ورفاهيته.

ولو أردت أن تنعم بخيراتك فلن تســتطيع إلا بإذنــه، ولو حاولت غير هذا فسـيجعل حياتك جحيمـاً لا يطـاق.. إذ من خيارات التضاد في داخل بلدك ماهي إحدى أدواته في تحقيق انتصــاراته عليــك، دع عنك خيــارات التضــاد مع جيرانك.

ولو... ولو... ولو... فكر بأي مطلب من مطالبك من خلال هـذه المظلات الكوكبية أو العالمية فسـتجد أنك في النهاية في حضـنه وتحت سـقفه، وأنت حينها أيها المسـلم العابد أمام خيارين لك فقط؟:

أولاهما: الإنسـحاب نحو الـذات الى داخل نفسـك، ولن تعــدم الــدليل الشــرعي، فجملة المقــالات والكتب المأثورة عن السلف بعيب الزمان وضـرورة هجـران أهله تحقق لك الرضا أنك مصيب في اختيارك، وسـترحل وأنت تحلم بــــالمخلص القــــادم من الســـماء، وذلك من خلال معجزة باهرة فوقية خارج إرادة الكل من جموع البشرية؛ وبها يتحقق الغلبة لأهل الحق والدين.

هذا الإنسحاب نحو الذات يمارسه البعض وهو يكذب كما يكذب غيره في استخدام لعبة الشعار الزائفـة، وذلك بـأن يجعل هـذا الإنسـحاب هو المخـرج من الفتنــة، وهو الطريق الســـلفي المهتـــدي والوحيد فقط للمشي على هــديهم، وكل خــروج عنه هو خــروج عن هــدي الســلف الصالح، والشـعارات جـاهزة، ومما يؤسف أن مصـنعها هو الوحيد الباقي اليـوم لم يخـرب فينا ولم يتوقف ولم يبطل إبداعه.

والبعض الآخر وهم الأســـلم صــــدراً والاتقى دينا ينسحب الى الداخل وهو يعلن أنه جهد المقل، فهو يعرف أنه رضي بـأدنى درجـات الإنكـار، وهي المرتبة الثالثة منه وذلك بأن ينكر بقلبه ويدعو في سره أن يحقق الله تعالى الأمل وأن ينصر جنـده الموحـدين، وهو يعـرف أن سـبب انســحابه هــومن ثقل المســؤولية ومشــاقها ووعــورة الطريق.

ثانيهما: هو من تلبس ببعض تســويقات الطــاغوت عليه، فهو وطني يعترف بخصوصـية بلـده وموطنه وإن لم يعـترف بـذلك بلســانه، ورضي من نفسه أن يكــون سن دولاب لحركة عجلة الشــرعية والعولمــة، ومما يؤسف له أن هـؤلاء هم أكـثر النـاس دعـوى أنهم من قـارئي الواقع وســنن التــاريخ، وأنهم أبصر النــاس بما عليه الخصــوم وخططهم، وإن كـان لهم عـذر فهو عـذر وحيد فقط وهو أنهم استغرقوا في كتب الآخر حتى التضلع، وهي كتب كما تقدم لا تكشف أدوات المعركة وإن كانت تكشف صـورتها

الظـــاهرة، فصـــاروا من ضـــحايا اللعبة دون أن يشـــعروا، ولـــذلك تســـتغرب حين يتحـــدث الواحد منهم عن اطلاعاته وما اســـتوعبته وحفظته ذاكرته من أرقـــام وحـــوادث يبثها في كتبه وأشـــرطته عن مخططـــات الخصـــوم وعن مكـــره وخبثه ودهائه، لكنهم غفلـــوا عن لعبة القـــوة وأداة الصـــراع الحقيقي، وغـــابت عنهم حركة الجيـــوش وبطشـــها وقســـوة تركيبهـــا، هـــذا إن أحســـنا بهم الظن، وإلا فـــإني في أوقـــات كثيرة أعزو هذا الجهل الى عدم التربية العســـكرية لهـــؤلاء الشـــــيوخ والمفكـــــرين، ولا أقصد بالتربية العســـــكرية هي دورات فك وتركيب الأسلحة، والرمي عليها فهذه لا تصـــنع أبداً عقلية المفكر المسلح.

هـــذا القسم يســـمي نفسه بالإتجـــاه الاصـــلاحي، ولا يهمني أبداً أن أنـــاقش مفـــردات طرحـــه، فمما يزعجك أن شـــيخ الاســـلام ابن تيمية رحمه الله تعـــالى يســـتدل به كل ألوان الطيف، فالشيخ ابن لادن يستدل به والشـــيخ حمـــود العقلاء رحمه الله تعـــــالى كـــــذلك وكـــــذا الـــــدكتور أيمن الظـــواهري، ويســـتدل به كـــذلك الشـــيخ ســـلمان العـــودة والشـــيخ ســـفر الحـــوالي والشـــيخ الالبـــاني، ويســـتدل له القرضاوي وربيع المدخلي ومحفوظ النحناح وعبد الســـلام ياسين وطه جـــابر العلـــواني، وبالتـــالي فأنا أرفض الـــدخول في معمعة الاســـــتدلال الإنتقـــــائي أمـــــام معركة واضـــــحة المعالم وأستغرق في لعبة الشـــعارات كما يريـــده البعض، لكن يكفي أن أتهم وأعلن بكل وضوح حين أفهم ما يريده هذا التيار أنه رضي أن يعمل تحت مظلة عدوه.

تهمة أوجهها وأنا أعـــرف أن خصـــمي عنـــده ضـــدي عشرات الأمثلة التقطها من إذاعة هنا وإذاعة هنـــاك، ومن جريـــدة هنا وجريـــدة هنـــاك أني أنا لعبة بيد الخصم لتحقيق مقاصـــــــــده في بلادي، وأن كل ما أعمله ويعمله تيـــــــــار التخـــريب لنظـــام العولمة والنظـــام العـــالمي الجديد هو اعطاء المبرر لهذا الخصم أن يظهر ما يضـــمره علنا أمـــام هـــذه الجمـــوع العظيمة من أمـــتي، لأن أمـــتي عظيمة وشعوبنا رقم خطير يخشـــاها هـــذا المتغـــول فهو يبحث عن المبرر لصنائعه.

أفكار حالمة وحجج رائعة تجعل معركة بدر لولا هيبة القـــديم مع النص الربـــاني الـــذي يمجـــدها لم تحقق شـــيئا سوى استعداء الخصم علينا، بل وكـــانت الســـبب لتجـــييش قـــريش قافلة كاملة لمعركة بعـــدها بســـنة واحـــدة لقتل سبعين رجلا لمدينة تجعل هـــؤلاء القتلى يحققـــوا بكـــاء في

كل بيت فيها، فكل شيء يصلح حجة حين تتعملق الأفكار الأرسطية والتحليل السياسي الذي رماه لنا الشيوعيون والقوميون كزبالة عصر اكتشف الناس مهانته.

وسيقول البعض هذا تقزيم للقضية وتشويه لها، أنا أرجو منهم أن يراجعوا أنفسهم بصدق حين يسألون: ماذا يريدون؟ وما هي وسائلكم؟

ولا ينسون قبل ذلك كله أن يسألوا السؤال الكبير الذي هربوا منه جميعا: ماهو حكم الله في هذا الواقع وماذا قال حكم الله في معالجته؟

ولعل السؤال بقي قائما... ماذا نفعل؟

مع إقراري التام أن جزءاً كبيراً من مشكلة المسلمين تعود الى عدم فهمهم للإسلام وغياب الأحكام الشرعية عنهم واختلاط البدعة بالسنة، مع أن الجهل الذي أعنيه هنا ليس الجهل في أحكام الفرد إنما الأحكام المتعلقة بالطوائف والجماعات والديار، أي حكم الله تعالى فيما هو كوني، كحكم الله تعالى في الأمم المتحدة.. وحكم الله تعالى بنظام الجنسية.. وحكم الله تعالى في الشرعية الدولية.. وحكم الله تعالى في الوطنية.. وترسيم الحدود.. فمثل هذه الاحكام مغيبة والحديث عنها ضعيف وما بقي هو أشبه بالقضايا المعرفية الذهنية فقط أي ما يسمى عند البعض بالافكار، لكن أعتبر أن أعظم مصائبنا هو عجز العقل المسلم في الإبداع وذلك في تحقيق الحكم الشرعي وتحقيق طرق الصراع مع الخصم وخاصة عند من آمن بالحكم الشرعي أو اقترب منه.

لعل القهر يصيب الكثير من المعانين في قضايا الصراع وتحقيق الوعود الإلهية وموضوع الجهاد حين يطالعون هذه الأبحاث الكثيرة والتي تأخذ المقدمات المتكررة والطويلة والمسروقة في أغلبها أغلب الكتب والمصنفات، فهي هي عند كل خطيب ومصنف وواعظ ومناظر، وليس القهر لما تقدم فقط بل لأنها صارت شتاراً يتخفي تحته عمق الجهل عند الكاتب والمفكر والواعظ.

وهاهنا سأهرب من اطلاق حكم الجهل على هؤلاء البواقع والفواقر الذين يحاربون ويبذلون جهودا جبارا

لكنها بغباء منقطع النظير في تحقيق من هو السلفي ومن هو نصف السلفي ومن هو سلفي الاعتقاد خلفي المنهاج.

الحديث يدور مع غـير هـؤلاء، وهم العقلاء من أمـتي الـذين آمنـوا بـأن الواقع يجب تغيـيره، لمخالفته لأمر الله تعـالى أقـول مخالفته ولم أحـدد درجة المخالفة وهم يؤمنـون أن فتنة أمتنا في عقمها في عـدم وجـود عبقرية الإبداع في التغيير واستصناع أدواته.

الهروب الى العمومات هو فن أمتي الـذي تتقنه بعد إتقانها فن الشعارات.

هذا العالم المحكوم بالشر والضلال والكفـر، وأحكم فيه الكفر كل المنافذ لئلا يخـترق أو يحـارب واسـتخدم أقسى درجـات العنف والقتل ضـدنا، ونحن رفعنا ضـده شـعار الجهـاد فما هي طـرق هـذا الجهـاد وكيف نمارسه وكيف نحقق صوره؟

هذه العلاقة التصـادمية الخطـيرة بينك وبينـه؛ فهو لا يقبل منك إلا الـدخول في طاعته وأن تصـبح جـزءاً من شرعيته، وأنت حين أسلمت وجهك لله تعالى علمت أنه لا يتحقق اسـلامك الا بضـرب هـذه الشـرعية من اساسـها وجذورها لا مظاهرها فقط.

ما الحل اذا؟

الحل شـرعاً وقـدراً هو الجهـاد، والجهـاد هو القتـال بتفسير كل كتب الفقه له، دون زمزمة أو تلكؤ.

هـذا الحل الربـاني والـذي يمكن لنا أن نهـرب منه تحت دعـاوى كثـيرة نخفي تحتهـا: عظمة التكـاليف الـتي نخاف منها، وعقمنا المتجذر في ابداع أدوات الصراع.

أمتنا بحاجة لفقيه ولا شك يعرفها حكم الله تعـالى في النـوازل والحـوادث لكنها بحاجة أكـثر إلى من يقودها في تحقيق هـذا الحكم على أرض الواقـع، وهو ما ينقصـنا منه الكثـير، ويهـرب من يقـال لهم بأهل الفكر الى عمومات وابداعيات ذهنية تصلح حديثاً للصالونات الفكرية منها الى أن تكـون خطة عمل لطوائف الهـدى وشـباب الجهاد.

وللأسف إننا وإن كنا نفقد الكثير من الفقهاء وكثر قراء الفكر ومتعاطي لذة الكلام الا أننا نفقد أكثر قادة الحرب ومبدعي القيادة في حربنا الشرسة ضد هذا الخصم العنيد المتغطرس القاسي متعدد المواهب.

الجهاد يعني القوة لأن العالم تحكمه القوة.

الجهاد يحتاج الى ابداع لأن العالم سبقنا بأشواط بعيدة وكثيرة في تجذير أمراضنا ومعالجة أخطائه أولاً بأول.

الجهاد يعني الدم والقتل والتشريد والسجن وكل أنواع البلاء لأنه أقصى حالات الصدام الذي تعرفه البشرية في صراعاتها فلا يجوز لنا أن نجعل النتائج المرحلية لهذا الجهاد دليل خطئه، وبالتالي البحث عن البدائل.

لنعترف أننا عقمت عقولنا في تحقيق كيف نجاهد فذهبنا نحلق في أجواء الإصلاح الموطني وصنع الكلمات الرائعة والتي لا تملك دليلاً واحداً على صوابها الا أنها تحقق النصر العظيم لنا بلا تكاليف!

لن يعجز الباحثون في أحلامهم عن البدائل الجميلة السهلة أن يلبسوا أي بديل لباس الشرع والدين، فهي مهمة أتقنت على مدار التاريخ الإسلامي، إذ لن تكون أفكارهم أكثر سوءاً من التصوف وفلسفة اليونان ومع ذلك فإنه لم يعدم أهلها الاستدلا لها بقول الله تعالى وقول الرسول وحدث كذا وكذا.

ولن تكون كلماتهم أكثر سوءاً من فقه الحيل الخبيث لنجد له مستنداً من قاعدة أو حادثة تاريخية ما.

وكما تقدم فشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جاهز لتمرير أي حلم لرجل أصاب عشاء ثقيلاً فبدأ يبدع في حلمه.

إيه يا ابن لادن كم عريت مفكرينا وقادة الفكر في العمل الاسلامي.

أواه عليك أيها الاسلام العظيم حين حملك أقزام يرضيهم بدل دخول البيت الأبيض وقصر الاليزيه أخذ رخصة لدرس في مسجد أو أخذ أذن لجمعية خيرية.

مـتى تنتج أمـتي "ارطبونـات" نضـرب بها ارطبـون الروم كما قال الصديق رضي الله تعالى عنه؟!

أيها المشايخ والمفكرون:

بالله عليكم أوقفوا التزوير بشـروحات المتـون الـتي شكت من كثرة الشروح وليقبل بعضكم لا كلكم على علم الحرب وفن ادارة الصراع.

يا أهل النظر والفكر والفقه في أمتي:

اعلموا أنه ينتظركم الكثير من الأسئلة لتجيبوا عليها، يسألها شباب الاسلام لكم.

تقولون نجاهد..كيف نجاهد؟

أليس الجهاد يحتــاج الى تنظيم وادارة؟ علمونا كيف نفعل هذه الأمور.

حلت بنا أزمات فعلمونا كيف نبدع المخارج في حلها ونخرج منها ونصمد أمامها بالتخطيط.

علمونا كيف نعسكر الأمة لأيام كريهة وسداد ثغر.

هذا ما نحتاجه منكم اليوم، فـإن عجـزتم عن تقـديم هذا فلنا طلب وحيد منكم هو أن لا تسـرفوا في اسـتخدام الورق والحبر وطباعة الكتب المسروقة والمكرورة.

وإن وصلكم دخان المعارك وضـجيجها فقولـوا: ليس هذا فننا.

ولا تنســوا الــدعاء لأهلهــا، وامســكوا ألســنتكم عن اللوم والتقريع.

بوركت يا ملا الخير محمد عمر مجاهدا.
بوركت يا أبا عبد الله ابن لادن.
بوركت يا أيمن الظواهري.
بوركت أبا حفص المصري ورحمك الله تعالى.
بوركت أبا عبيدة البنشيري ورحمك الله تعالى.
بوركت يا خطاب ورحمك الله.
بوركت محمد عطا وســراياك المباركة ورحمكم الله تعالى.

بوركتم يا كتائب القسام في فلسطين.
بـوركت جماعـات الجهـاد الـتي تبـذل جهـدها لحل معضلاتنا.
بـوركتم فقد أجبتم عن بعض أسـئلتنا وما زلنا بحاجة للمزيد.

وأخير نوصيكم بوصـية الإمـام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

(فالله الله يا إخــواني تمســكوا بأصل دينكم وأوله وآخره أسه ورأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفـوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كـانوا بعيـدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفــرهم أو قــال ما علي منهم، أو قــال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافـترى، بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والـبراءة منهم ولو كـانوا إخوانه وأولاده، فالله... اللـه، تمسـكوا بأصل دينكم لعلكم تلقـون ربكم لا تشـركون به شـيئا.. اللهم توفنا مسـلمين وألحقنا بالصالحين)[1].

والحمد لله رب العالمين

[1] الدرر السنية: الجزء الأول: ص78